خطبة بعنوان:

((مواعظ وعظات من سورة : ق))

✍ لأبي عبدالرحمن موفق الفاضلي العودي حفظه الله

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[آل عمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ

فَوْزًا عَظِيمًا }[الأحزاب:70-71]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها المؤمنون عباد الله:

روى الإمام مسلم من حديث أُمِّ هِشَامٍ بِنْتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، رضي الله عنها, قَالَتْ: «لَقَدْ كَانَ تَنُّورُنَا وَتَنُّورُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاحِدًا، سَنَتَيْنِ أَوْ سَنَةً وَبَعْضَ سَنَةٍ، وَمَا أَخَذْتُ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ إِلَّا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقْرَؤُهَا كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ، إِذَا خَطَبَ النَّاسَ».

في هذا الحديث بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر في خطبه ومواعظه من سورة ق وذلك لما اشتملت عليه من المواعظ والزواجر,والوعد والوعيد وإثبات الرسالة والبعث و النشور ولما فيها من ذكر الموت وذكر الجنة والنار,وأخبار الأمم السابقة وغير ذلك, وكان صلى الله عليه وسلم يقرأها في صلاة العيدين.

قال النووي ـ رحمه الله ـ: وَالْحِكْمَةُ فِي قِرَاءَتِهِمَا لِمَا اشْتَمَلَتَا

عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْبَارِ بِالْبَعْثِ وَالْإِخْبَارِ عَنِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ وَإِهْلَاكِ الْمُكَذِّبِينَ وَتَشْبِيهِ بُرُوزِ النَّاسِ لِلْعِيدِ بِبُرُوزِهِمْ لِلْبَعْثِ وَخُرُوجِهِمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جراد منتشر واشتملت على الموت و المواعظ الشديدة والزواجر الأكيدة. اهـ

ففي هذا اليوم بإذن الله تعالى نأخذ مقتطفات من مواعظ هذه السورة العظيمة لعل ذلك يكون لنا عظة وعبرة ينفعنا الله به في حياتنا ويصلح به قلوبنا فإن المواعظ سياط القلوب.

فقدأقسم الله سبحانه في أول هذه السورة بالقرآن المجيد على إثبات البعث الذي أنكره المشركون وعلى إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي لم كذبوا بها, ونفى استعجابهم واستنكارهم لذلك, وحثهم على النظر والتفكر في خلق السماوات والأرض كيف رفع السماوات بغير عمد ومهّد الأرض وبسطها وجعلها ساكنة صالحة للحياة والسير فيها وثبتها بـ الجبال الرواسي,وأن ذلك أكبر وأعظم من خلق الناس وإعادتهم مرة أخرى, وذكرهم بالنعم التي أسداها عليهم لعلهم يشكرون الله عليها.

ثم ذكرهم بالأمم السابقة التي أهلكهم الله بسبب تكذيبهم لرسلهم ليعتبروا ويتعظواثم ينزجروا عما هم عليه من التكذيب والعناد, كعاد وثمود وفرعون وأصحاب الرس وأصحاب الأيكة وقوم تبع وقوم لوط ,فقد دمرهم الله وهم أشد قوة من كفار قريش ومن مشركي هذه الأمة {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ

قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد}[ق:37]

ثم بين سبحانه كما أنه لم يعجز في خلقهم أول مرة فكذلك لن يعجز عن إعادتهم مرة أخرى والإعادة في نظر الناس أسهل وإلا فالكل عند الله سواء .

فما الذي جعلهم في لبس وشك من البعث والإعادة مرة أخرى ق ال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأ َعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأ َرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم}[الروم:27]

ثم قال سبحانه: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإ ِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد}[ق:16] فالذي خلق الإ نسان هو أخبر به ومطلع على سريرته ويسمع أقواله ويبصر أعماله ويعلم أحواله {أَلا َ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير}[المُلك:14]

فهو أقرب إليه من حبل الوريد.

قال البغوي رحمه الله: حبل الوريد عرق العنق وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين يتفرق في البدن. اهـ

قال السعدي رحمه الله: وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خ القه، المطلع على ضميره وباطنه، القريب منه في جميع أحواله، فيستحي منه أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره، وكذلك ينبغي له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال،

فيجلهم ويوقرهم، ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه، مما لا يرضي رب العالمين، ولهذا قال: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ} أي: يتلقيان عن العبد أعماله كلها، واحد {عَنِ الْيَمِينِ} يكتب الحسنات والآخر {عن الشِّمَالِ} يكتب السيئات. اهـ

فاللّٰه سبحانه وتعالى يعلم ما توسوس به الصدور ويعلم السر وأخفى ويعلم ما سيكون في الغد, وقد وكل على العباد ملائكة يكتبون ما يقولون ويفعلون {كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ }[الانفطار:11-12]

ثم قال {مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا ۖ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيد}[ق:18]

قال السعدي: أي من خير أو شر رقيب عتيد مراقب له حاضر لحاله كما قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}[الانفطار:10-12]. اهـ

وذهب بعض أهل العلم إلى أن كل كلمة ينطق بها العبد مكتوبة عليه, لعموم الآية {ما يلفظ من قول}. قالوا حتى الكلام المعتاد الذي لا يتعلق بالثواب والعقاب مكتوب.

وقال بعضهم: حتى الأنين مكتوب على العبد, فليحرص العبد ألا ينطق إلا خيرا أو ليصمت لما روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَةَ ـ رضي اللّٰه عنه ـ عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ -صلى اللّٰه عليه وسلم- قَالَ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ "الحديث

ثم بين سبحانه وتعالى أن الإنسان سيموت ويحاسب على كل شيء بعد موته ولهذا قال سبحانه: {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تحِيد}[ق:19]

واعلموا أيها المسلمون أن للموت سكرات وغمرات وشدة على العبد تغطي عقله وتغلف فكره,قال تعالى:" {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تحِيد}[ق:19]

قال المفسر البغوي رحمه الله: سكرة الموت هي غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله. اهـ

فأين المفر وربنا سبحانه وتعالى يقول: {ذلك ما كنت منه تحيد}. أي تفر وتهرب وتكره كما قال الحسن وابن عباس رضي الله عنهما

قال تعالى: {قُلْ إِنّ الْمَوْتَ الّذِي تفِرّونَ مِنْهُ فَإِنّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمّ تُرَدّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ فَيُنَبّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تعْمَلُون}[الجمعة:8]

عباد الله:للموت سكرات عانى منها أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم ومن بعده خليفته أبو بكر رضي الله عنه أفضل هذه الأمة بعد نبيها ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تغشاه الموت جعل يسمح العرق عن وجهه وهو يقول: "سبحان الله إن للموت لسكرات "وفي لفظ: "لا إله إلا الله إن للموت لسكرات" وهو يدخل يديه في الماء فيمسح بها وجهه ويقول :"لا إله إلا الله إن للموت

لسكرات".

ولما حضرت أبا بكر رضي الله عنه الوفاة جعلت عائشة رضي الله عنها تتمثل بقول الشاعر:

لعمرك ما يغني الثرى عن الفتى :: إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فقال أبو بكر رضي الله عنه: ليس كذلك ولكن قولي: {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيد}[ق:19] رواه ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها.

وللموت له حرارة وشدة, فقد روى ابن أبي شيبة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج فإنه كانت فيهم الأ عاجيب" . ثم أنشأ يحدث قال : "خرجت طائفة من بني إسرائيل حتى أتوا مقبرة لهم من مقابرهم فقالوا : لو صلينا ركعتين ودعونا الله عز وجل أن يخرج لنا رجلا ممن قد مات نسأله عن الموت قال : ففعلوا . فبينما هم كذلك إذ أطلع رجل رأسه من قبر من تلك المقابر خلاسي بين أعينه أثر السجود فقال : يا هؤلاء ما أردتم إليّ ؟ فقد متّ منذ مائة سنة فما سكنت عني حرارة الموت حتى كان الآن فادعو الله عز وجل لي يعيدني كما كنت "

ومعنى خلاسي : أي: أسمر اللون .

ثم بعد الموت تأتي مرحلة أخرى,وهي النفخ في الصور.

قال تعالى:{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ}[ق:20]

فإن أول مراحل يوم القيامة أن الله سبحانه وتعالى يأذن للملك الموكل بنفخ الصور وهو إسرافيل عليه السلام بالنفخ في الصور, فينفخ النفخة الأولى نفخة الصعق فيصعق الأحياء كلهم ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث فينفخ النفخة الثانية فيبعث الله الناس جميعا ,الذين ماتوا قبل ذلك, والذين صعقوا بالنفخة الأولى, كما قال سبحانه وتعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَن شَاء اللّهُ ثُمّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُون}[الزُمَر:68]

وقال الله في هذه السورة: {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مّكَانٍ قَرِيب * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصّيْحَةَ بِالْحَقّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوج}[ق:4142]

وإسرافيل مستعد للنفخ ومنتظر متى يؤمر به فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ" فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُمْ: "قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا".

وقد أنكر المشركون البعث كما في هذه السورة فقالوا: {أَئِذَا مِتْنَا وَكُنّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيد}[ق:3]

فقالوا كيف نبعث وقد تمزقت أجسادنا وتفتت عظامنا كما قال تعالى عنهم في سورة أخرى: {وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَئِنّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُون}[السجدة:10]

ثم أبطل النبي صلى الله عليه وسلم شبهتهم ,وبين كيف يكون البعث بعد تفتت الأجساد, وذلك أنه يبقى في الإنسان عظم واحد لا تأكله الأرض يسمى عَجْبُ الذنب منه يركب الإنسان مرة أخرى.

فقد روى الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،رضي الله عنه, قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، «ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ، كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ» قَالَ: «وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وقد أشار الله في هذه السورة بإحياء الأرض بعد موتها إلى أحياء الموتى من قبورهم فقال: {رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوج}[ق:11] أي: الخروج من القبور.

وقال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى

رَبِّهِمْ يَنسِلُون}[يس:51] أي يسرعون لإجابة الداعي لهم إلى موقف يوم القيامة ,والأجداث: هي القبور.

فيبعث الناس ويحشرون حفاة, عراة ,غرلًا غير مختونين, قال الله: { كَمَا بَدَأْنَا أَوّلَ خَلْقٍ نّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنّا كُنّا فَاعِلِين}[الأنبياء:104]

ثم تسوق الملائكة الناس إلى أرض المحشر كما قال تعالى: {وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيد}[ق:21]

قال ابن كثير: أي ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله.اه.

حينها تذهب الغفلة ويظهر الإيمان وتقوى الأبصار وتسمع الأذان ولكن بعد فوات الأوان قال سبحانه:{لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيد}[ق:22]

قال المفسر البغوي: أي نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا. اه.

وقال المفسر السعدي: أي: يقال للمعرض المكذب يوم القيامة هذا الكلام، توبيخًا، ولومًا وتعنيفًا أي: لقد كنت مكذبًا بهذا، تاركًا للعمل له فالآن {كشفنا عَنْكَ غِطَاءَكَ} الذي غطى قلبك، فكثر نومك، واستمر إعراضك، {فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} ينظر ما يزعجه ويروعه، من أنواع العذاب والنكال فإنه كان في الدنيا في غفلة عما خلق له، ولكنه يوم القيامة، ينتبه ويزول عنه وَسَنُه، ولكنه في وقت لا يمكنه أن يتداركه. اه.

وقال المفسر ابن كثير: وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا} يَعْنِي: مِنْ هَذَا الْيَوْمِ، {فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} أَيْ: قَوِيٌّ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ مُسْتَبْصِرًا، حَتَّى الْكُفَّارُ فِي الدُّنْيَا يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الِاسْتِقَامَةِ، لَكِنْ لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا} [مَرْيَمَ: 38]. اهـ

أي ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة.

فانتبه يا عبد الله من الغفلة فإنها مرض خطير من أمراض القلوب ,فقد كانت سببا في ضلال أناس كثيرين في الدنيا, وسببا في شقائهم في الآخرة ,فإن الغفلة تورث الإعراض عن ذكرالله ,واللامبالاة بوعيدالله وعدم النظر في سوء العاقبة و العياذ بالله,فلا تغفل عما خلقك الله من أجله ,ولا تغفل عما توعد الله به الغافلين يوم القيامة, البعيدين عن دينه, أفِقْ من غفلتك واصْحَ من نومك قبل أن يقال لك يوم القيامة :{لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيد}[ق:22]

فالغفلة غطاء يكون على القلب,قد يحول بين المرء وبين الهدى, وسينكشف يوم القيامة نسأل الله أن يبصرنا في ديننا.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفى وعلى آله وصحبه ومن بآثاره اقتفى.

أما بعد:

فإن الناس يبعثون ويحشرون ويساقون للحساب وتشهد عليهم الملائكة بأعمالهم ,ويأتي القرين من الملائكة الملازم للإنسان فيقدم ديوان أعماله ثم يأتي القرين من الشيطان فيتبرأ منه وذلك لأن لكل إنسان قرينين, قرين من الملائكة, وقرين من الشياطين, إلا نبينا صلى الله عليه وسلم فإن قرينه أعانه الله عليه فأسلم,فلا يأمره إلا بخير.

قال تعالى: {وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيد * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيد * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيب * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيد }[ق:23-26]

فيقول الملك الملازم له: هذا ما لدي عتيد.

قال ابن كثير: أي الموكل على الإنسان يشهد عليه يوم القيامة عتيد معتد محضر بلا زيادة ولا نقصان قال مجاهد الملك السائق قد أحضر ديوان أعماله. اهـ

ثم يأتي القرين من الشياطين فيتبرأ منه وأنه ما أجبره على الطغيان ,ولم يأته بالسلاسل والأغلال وإنما وسوس له فتبعه وما كان له عليه من حجة ولا سلطان.

قال تعالى: {قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيد * قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيّ وَقَدْ قَدّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيد * مَا يُبَدّلُ الْقَوْلُ لَدَيّ وَمَا أَنَا بِظَلاّمٍ لِّلْعَبِيد }[ق:27-29]

فلا ينفع الجدال والخصام اليوم, وقد جاءت الرسل والنذر بالحجج البالغة والبراهين الجلية ,وأخبر سبحانه أنه لا يبدل القول لديه ولا يظلم أحدا وسيجازي كلا بعمله وبقدر ضلاله وإضلاله.

قال السعدي: أي: لا يمكن أن يخلف ما قاله الله وأخبر به، لأنه لا أصدق من الله قيلا ولا أصدق حديثًا.{وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} بل أجزيهم بما عملوا من خير وشر، فلا يزاد في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم. اهـ

وقال ابن كثير: قال مجاهد: ما يبدل القول لدي. يعني قد قضيت ما أنا قاض ولست أعذب أحدا بذنب أحد ولكن لا أعذب أحدا إلا بذنبه بعد قيام الحجة. اهـ

ثم تأتي جهنم وتطلب المزيد من المجرمين والكافرين ليسكنوها ويذوقوا حرها ويكتووا بلهيبها,قال سبحانه: {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيد}[ق:30]

قال المفسر السعدي رحمه الله: يقول تعالى، مخوفًا لعباده: {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ} وذلك من كثرة ما ألقي فيها، {وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ} أي: لا تزال تطلب الزيادة، من المجرمين

العاصين، غضبًا لربها، وغيظًا على الكافرين.

وقد وعدها الله ملأها، كما قال تعالى {لأَمْلأنّ جَهَنّمَ مِنَ الْجِنّةِ وَالنّاسِ أجْمَعِينَ} حتى يضع رب العزة عليها قدمه الكريمة المنزهة عن التشبيه، فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط، قد اكتفيت وامتلأت". اهـ يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري ومسلم.

فمن حكمة الله ورحمته أنه لا يملأ النار بأناس يخلقهم لها بغير ذنب عملوه ,لأنه سبحانه منزه عن الظلم ,أما الجنة فإنه يبقى فيها فضل ومكان زائد فيخلق لها خلقا يسكنهم فيها كرما منه ومنة وذلك لأنه وعد الجنة والنار بأنه سيملؤها.

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،رضي الله عنه, قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " احْتَجَّتِ النَّارُ، وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ، وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ - وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا "

قال تعالى: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنّةُ لِلْمُتّقِينَ غَيْرَ بَعِيد * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلّ أوّابٍ حَفِيظ * مَنْ خَشِيَ الرّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مّنِيب * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُود * لَهُم مّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيد }[ق:31-35]

{وأزلفت الجنة للمتقين} أي: قربت للممتثلين لأوامر الله و المجتنبين لنواهيه ,فقد وعدهم الله في الدنيا إن هم اتقوه و حفظوا حدوده ورجعوا إلى دينه وأقبلوا عليه بقلوبهم وخافوا عذابه, فلهم فيها ما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر,فإنهم يدخلونها س المين ,وتسلم عليهم الملائكة ,ويسلم عليهم ربنا سبحانه وتعالى: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَا ٰمٌ } [الأحزاب 44] {سَلَا ٰمٌ قَوْلًا ۖ مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ}[يس:58] قد أمنوا فيها من العذاب, فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون, ليس فيها مكدرات ولا منغصات ,ويخلدون فيها أبد الآباد, لا يبغون عنها حولا , وفوق هذا فإنهم يتلذذون بالنظر إلى خالقهم ومعبودهم الذي أنعم عليهم بنعمه, وأكرمهم بجنته ,وهذا هو الزيادة كما في قوله تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ }[يونس:26]فالحسنى هي الجنة والزيادة هو النظر إلى ربهم جل وعلا , وهو المزيد كما في هذه السورة {لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}[ق:35]

فقدروى الإمام مسلم عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى

رَبِّهِمْ عَزّ وَجَلّ "ثُمّ تلَا هَذِهِ الآيَةَ: {لِلّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: 26]

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته".

هذا هو تفسير المزيد في قوله تعالى: {ولدينا مزيد}

وقال البغوي: قال جابر وأنس رضي الله عنهما: هو النظر إلى وجه الله الكريم. اهـ

بينما الكفاريحرمون أعظم نعيم في الجنة, فيحجبون عن رؤية ربهم سبحانه وتعالى قال تعالى: {كَلا ۖ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}[المطفّفين:15]

وأما رؤية الله في الدنيا فهي منفية كما قال تعالى لموسى عليه السلام: {لن تراني} [الأعراف 143]. وقوله صلى الله عليه وسلم: "إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا". رواه مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه.

اللّهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم واجعلنا من ورثة جنة النعيم يا أرحم الراحمين.

اللّهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

اللّهم آتنا ماوعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد.

اللّهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة وقنا عذاب النار.